



سيكولوجية الأهواء السيميائية في رواية "سفر السالكين" لمحمد مفلح أنموذجا

Psychology of Semiotics of Passions in the Novel of (Mythicists Travels) by Mohamed Meflah as a model.

خالد وهاب	رتيبة نواصرية*
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة (الجزائر) ص ب 166 اشبيليا، 28000 المسيلة - الجزائر -	جامعة محمد بوضياف بالمسيلة (الجزائر) ص ب 166 اشبيليا، 28000 المسيلة - الجزائر -
Khaled.ouahab@univ- msila.dz	ratiba.nouasria@univ- msila.dz

الملخص:

معلومات المقال

تعد الرحلة الصوفية رؤية كونية تفسر الوجود وأبعاده، ينتقل فيها الصوفي إلى مقامات روحية، وهي وسيلة لتجاوز القوقعة الاجتماعية واختراق محكيها المغلق، فالصوفي ينشد بها إلى انتزاع نفسه وتجربته من المكان القامع الذي يفرض عليه أن يتقبل معايير وتقاليده، وتسعى هذه الورقة البحثية إلى استجلاء تحولات الذات الهوية وبيان الأهواء الصوفية التي هيمنت على رواية سفر السالكين لمحمد مفلح، من خلال تمثّل الآليات الاجرائية لسيميائية الأهواء في قدرتها على تتبع مسار الذات الهوية في الخطاب الصوفي، واستجلاء المعنى الصوفي وفق خطاطة تعمل الذات على تحقيقها وبلوغها، معتمدين في ذلك على أهم معطيات سيمياء الأهواء "الخطاطة الاستهوانية للكشف عن الحالات النفسية والانفعالات الجسدية والمعجم الاستهواني".

تاريخ الارسال: 2024/01/13
تاريخ القبول: 2024/04/14

الكلمات المفتاحية:

- ✓ السيميائية
- ✓ التصوف
- ✓ الذات الاستهوانية
- ✓ المعجم الاستهواني
- ✓ سفر السالكين

Abstract :

Article info

The mystical journey is a way to transcend the social shell and penetrate its enclosed surroundings. The mystic seeks to extract itself and experience it from the oppressed place, which requires it to desist from being itself. This paper seeks to illustrate the transformations of the mystical self and the statement of the mystical whims that dominated the novel. Mohammed Mufalah's Salkin Travel through the representation of the mechanisms and procedural tools of whimsical chemistry in its ability to track the path of self-identity in mystical discourse and to clarify the mystical meaning according to a self-fulfilling plan, Tracking the effectiveness of the whimsy methodology in the investigation of whims and emotions based on the most important features of hypertrophy ", the ephemeral stripe, for the detection of psychological conditions, physical emotions and the thermal lexicon.

Received

13/01/2024

Accepted

14/04/2024

Keywords:

- ✓ Semitic
- ✓ mysticism
- ✓ tropical self
- ✓ thermal lexicon
- ✓ salkin travel

1. مقدمة:

حاول الإنسان على مر العصور أن يستبطن أسرار ذاته المتشعبة، وأن يتفهم ما ينطوي عليها من بواعث تظهر آثارها في رضا المرء عن حياته أو شقاوته، وقد اهتم الدارسون بالبعد الهووي النفسي، والذات الفاعلة وكيفية اتصالها بموضوع القيمة، وسعوا لكشف اللمسات العاطفية التي تتركها النصوص الأدبية في نفسية قارئها، وإذا كانت الدراسات الأدبية قد حاولت إثارة بعض الزوايا المظلمة والغامضة في النفس البشرية، إلا أنها قد أبتقت فجوات وثرغرات، لتطلق العنان لدراسات لاحقة تداركت ذلك النقص الحاصل في مجال النظرية السيميائية، فكانت سيميائية الأهواء **Sémiotique des passions** هي المجال الذي مكن الناقد من رصد الانفعالات وركام النوازع الداخلية، والتخلص من أحادية التوجه في المجال النقدي، لذلك تعد العناية بمطلب سيكولوجية الأهواء **Psychologie des passions** نوعاً من الاستجابة لنداء البعد الانفعالي في الإنسان، ذلك الذي يميز صلته المباشرة بالعالم ضمن أفق المدرك والمحسوس من خبرته، ويمنحه خصوصية وعمقا، ويزحزحه من النمطية الآلية للفعل، ويكشف نزعات الذات وتوتراتها وميولاتها، حيث سنسعى في هذه الورقة البحثية إلى تحديد طبيعة الشائخ وأنظمة العلائق التي ربطت التصوف بالرواية، وبالأنساق الثقافية الاستهوائية الناشئة، وهي عادة اقتضاها منطق الأدب ذاته لكونه يلتقي مع سائر الثقافات في العالم ومقصده، ومحاولين في ذلك تأسيس أرضية معرفية، ننظر من خلالها إلى علاقة هذا التصوف بالأدب، ونعدُّ هذا البحث يندرج تحت المقاربات السيميائية ونعني به دراسة خصوصية الخطاب الروائي وتقصي الأبعاد الاستهوائية فيه، وانطلاقاً من هذا كان مرجواً من الدراسة الإجابة عن بعض التساؤلات أهمها: كيف انبثقت سيميائية الأهواء في المجال النقدي؟ وهل أحدث الانتقال لحالات النفس والأهواء قطيعة مع سيميائية العمل؟ وكيف تجلت الأهواء سيميائياً في رواية سفر السالكين لمحمد مفلح؟

2. سيميائية الأهواء:

تعد النظرية السيميائية "من المناهج النقدية المعاصرة التي وُظفت لمقاربة جميع الخطابات النصية، ورصد كل الأنشطة البشرية بالتفكيك والتركيب والتحليل والتأويل، بغية البحث عن آليات إنتاج المعنى، وكيفية إفراز الدلالة عبر مساءلة أشكال المضامين، مع سير أغوار البنيات العميقة دلالة ومنطقاً، من أجل فهم تعدد البنى النصية، وتفسيرها على مستوى البنية السطحية تركيباً وخطاباً". (حمداوي، دت: ص06)، وبالتالي هي معرفة لسانية متشعبة لم تقتصر على جانب محدد في العلامة، بل درست حياتها بشقيها اللغوي وغير اللغوي، وحاولت السيميائية منذ بدايات ظهورها إلى تقصي حالة الأشياء، وتبني آليات جعلت فيها السلطة الأولى للذات الفردية وللأفق الدلالي، "مما يتيح للقارئ إمكانية لا محدودة التأويل ومحاوره النصوص الأدبية واستنطاقها، بغية استخلاص القيم المتوارية خلف البنية اللغوية في المستوى العميق للنص". (شاوي، 2022، ص: 520).

ومن المعروف أنه ثمة عدة مشاريع واستراتيجيات، تبنتها النظرية السيميائية، ومرت من خلالها عبر عدة مراحل، ومن بين هذه المشاريع: "سيميائية الأفعال مع ألجيرداس غريماس، Greimas وجوزيف كورتى J.Courtès ومدرسة باريس، وجماعة أنتروفير Groupe Entrouverne وهناك أيضاً سيميائية الأهواء مع غريماس وجاك فونتاني Jacques Fontanille في كتابهما

القيم سيميائية الأهواء". (حمداوي، دت، ص:205)، وكانت آخر توجهات السيميائية وأحدث فروعها "هي سيميائية الأهواء التي ظهرت في التسعينيات من القرن العشرين في سنة 1991، مع الباحثين غريماس وفونتاني في كتابهما (سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس)، وقد ركز الباحثان على دراسة مجموعة من المفاهيم، والانفعالات الجسدية والحالات النفسية، ووصف آليات اشتغال المعنى داخل النصوص والخطابات الأدبية". (شاوي، 2022، ص:520)، ويمكن القول من جهة أخرى "أنّ من نتائج ربط التحليل النفسي بالتحليل السيميائي، ميلاد سيميائية الأهواء، Sémiotique des passions، وكان الهدف المتوخى منه تشييد نظرية للأهواء، لكي تبحث عن آثار هوى الذات داخل الخطابات النصية". (بغداد، 2019، ص:27)، ومن خلال تتبع مسار توليد الدلالة ضمن المخطط الاستهوائي.

وتم إدخال البعد العاطفي تدريجياً ومجذراً في الدراسات السيميائية، "ذلك أن العواطف والأحاسيس تتميز بارتباطها بالذات، لذلك تستدعي دراستها الاهتمام بعلم النفس، وهذا ما يفضي بها أحياناً إلى الخروج عن مجالها، غير أن الرهان بالنسبة للسيميائية تمثل في بناء دلالة لهذا البعد العاطفي في الخطابات، إذ لا تتخذ العاطفة من جانب تأثيرها في الذوات الحقيقية (الجانب النفسي)، بل من جانب كونها تنتج معاني مشفرة ومسجلة في الخطابات، وهي بهذا تسهم في إنتاج تمثيلات ثقافية مختلفة، تثير الخيال العاطفي فيقوم بضمين بعض العواطف دون الأخرى. (عمى، 2011، ص: 310-311)، وهذا ما شرحه شرح فرويد في دراساته، حول علاقة الفن بعلم النفس، إذ أن كل مرض نفسي يمكن أن يكون حافزاً للذات البشرية في الإبداع، وعلى سبيل التقريب أن مرضى التوحد نجد لديهم قدرة كبيرة على الإبداع وإتقان أمور لا يمكن لشخص عادي القيام بها، ولا يمتلك القدرة، فكل اضطراب نفسي وعصبي يمكن أن يكون سبيلاً لاكتشاف أنامل إبداعية من وراءه فالضغط النفسي يولد الإبداع. فالأثر الأدبي يمثل معادلاً لتحقيق الرغبة والإبداع عند فرويد، وينظر إلى أن الثقافة لها علاقة وطيدة بالحياة النفسية، من خلال الكشف عن عالم خفي، والذي يعرف باللاوعي وعلى هذا الأساس أسس نظريته.

وحسب غريماس فإن ظهور سيميائية الأهواء هو تجاوز للنسق الفردي، الذي طغى على آليات النظرية السيميائية، وإعلان عن توجه يزواج بين نوازع وأهواء الذات مع المقاربة السيميائية، كما جاءت هذه الثورة نتيجة للنقص الذي لاحظته في مقارباته، وإهماله لجانب مهم في التحليل، وهو الجانب النفسي والانفعالي للذات يقول: "ففي النصوص التي حللناها كنا نلغي كل ما له علاقة كتأثير الشعور، وهنا يكمن النقص لهذا أحدثنا نوعاً من العودة إلى الوراثة، لماذا هذا الرجوع كان ممكناً؟ لأنه كانت هناك أداة هي آلية النحو الصيغي فلاحظنا أنه لو أردنا وصف عاطفة ما كعاطفة البخل والغضب مثلاً فإنه بإمكاننا وصفها بمصطلحات البنية الصيغية". (فرغلي، 2022، ص:81)، وكان هذا الإلغاء الذي تعمدته غريماس في بداياته، نتيجة لخوفه من الوقوع في الدراسات النفسية التقليدية، وهذا ما يُفسر البداية الخجولة لسيميائية الأهواء، "فقد كان غريماس يمارس هذه الأبحاث في صمت بمشاركة تلميذه جاك فونتاني لعدة سنوات، وقد انشغل السيميائيون مدة طويلة بمعنى العمل أو حالة الأشياء، وخلال العقود الأخيرة أصبحوا يولون أهمية لمعنى الهوى أو للحالة النفسية، فألى جانب أن العامل يعمل فهو يحس ويحتاج إلى الحالتين معاً، لإثبات وجوده والصدع بمشاعره ومواقفه". (الداهي، 2007، ص:213).

ما نستشفه من خلال هذا الطرح، ونظرا للتوسع الذي شهدته النظرية السيميائية، كان لزاما على الباحثين أن يضعوا الذات على مشروط سيميائية الأهواء، لذلك كانت هذه الأخيرة بمثابة المشروع الذاتي بصفة عامة، كونها ركزت على المسار العاطفي للذات وعلى حياتها الداخلية ضمن مخطط تواتري تفاعلي، كما عززت مكانتها على مستوى الطرح السيميائي، على الرغم من البداية الحذرة والخجولة التي شهدتها، لكون النقاد تخوفوا في البداية مما قد أحدثه من انزلاقات، إذا ما تم ربط التحليل النفسي بالنظرية السيميائية، بالإضافة إلى اختلاف زاوية نظر الباحثين لفاعلية الذات على الدراسات السردية، كون ما يهم ليس تتبع انفعالات الذات وفقط، بل ما يصاحبها من آثار وتغيرات دلالية للهوى.

وإذا كانت السيميائية السردية تسعى إلى استجلاء العناصر السردية حسب ظهورها في النص، "فإن سيميائية الأهواء تسعى لدراسة الذات والانفعالات الجسدية والحالات النفسية، ووصف آليات اشتغال المعنى داخل النصوص والخطابات المستهواة، من خلال التركيز على مكونين أساسيين: المكون التوتري -انعكاس العالم الطبيعي على الذات- والمكون العاطفي أو الانفعالي -منبع الأحاسيس والعواطف- ويتولد عبرهما ما يسمى بـكينونة المعنى، وخلق ما يسمى كذلك بذات الإدراك والعاطفة" (حمداوي، 2011، ص: 30-31) وإذا كانت سيميائية العمل أو الفعل "قد قامت على مفهوم الانفصال بين الذات وعالم الأشياء، بالاشتغال على مفهوم الحالة والتحويل والعامل، حيث اعتبرت السرد مجموعة من الانقطاعات والتحويلات، التي تتحكم في الفاعل في علاقته بالموضوع المرغوب فيه بتعبير آخر يدرك العالم في سيميائية العمل منفصلا عن الذات، بينما يدرك العالم في سيميائية الأهواء متصلا بالذات وحالات النفس، ضمن كلية قائمة على التداخل والانصهار والتفاعل". (حمداوي، دت، ص: 219)، فيلج جانب أن العامل يعمل ويتحرك فهو يُحس لكي يثبت وجوده ويحقق ذاته لأنه قبل كل شيء هو تركيبة من الانفعالات والعواطف المضمرة، وهذا يفسر لنا أنه رغم النفوذ الذي حققته سيميائية العمل، إلا أن هذا لم يمنعها من الوقوع في هفوات، من خلال إهمالها لجانب مهم في حياة الإنسان، والذي من شأنه أن يكون له سلطة في التحليل، غير أن غريماش تفتن إلى هذا الجانب وتم استدراك هذا الفراغ في التحليل، وأضافه إلى نظريته من خلال تركيزه على هوى الغيرة والغضب، ووقوفه على تشكل كل هوى، والبحث في تمظهراته المعجمية والدلالية، وتتبع حالات الأشياء أثناء قيامها بالفعل، من خلال حالة الذات في الخطاب ومسارها العاطفي.

إن سيميائية الأهواء "تري في الهوى عنصرا فاعلاً ضمن عناصر أخرى تنتج الفعل، إذ يعد الهوى بحكم تشبث السيميائيات بالنظرة الجامعة والمتسقة عنصرا أساسيا في إنتاج الفعل، وسيميائية الأهواء وإن كانت مستقلة عن سيميائية الفعل، إلا أنها تتفاعل وتتكامل معها في البحث عن السيرورات الدلالية التي تعمل على إنتاج المعنى فإذا كانت سيميائية الفعل تهتم بالفعل في علاقته بالموضوع، فإن سيميائية الأهواء تهتم بالحالة النفسية أو الذات الانفعالية في علاقتها بالموضوع أو الأشياء، وسيميائية الأهواء لا تهتم بالهوى في نفسه ولكن بآثاره في المعنى، كونه ينتج معاني مشفرة وتمعن في النصوص وبعبارة أخرى، يتعلق الأمر بدراسة الهوى باعتباره سابقاً على الممكنات الدلالية المستترة". (الملجمي، 2016، ص: 145)، فالإنسان لا يفعل فقط إنه بالإضافة إلى ذلك يُضمن الفعل شحنة انفعالية، تحدد درجة الكثافة التي يتحقق من خلالها الفعل، ومن خلال هذا الطرح يتبين أن سيميائية الأهواء حاولت التخلص من سلطة الفعل واحتفت بالأحاسيس والمشاعر، واستشرفت الذات المتحددة بفعلها وأهوائها، وكشفت عن ما تعانیه الذات، وهذا يؤكد

أن سيميائية الأهواء سعت لدراسة انفعالات الذات بشقيها النفسي والجسدي، وتتبع آليات اشتغال الدلالة ضمن الخطاطة السردية الاستهوائية والتي تتكون من المكون التوتري، والمكون العاطفي ما يسمى بكيوننة المعنى.

ويمكن القول أن سيميائية الأهواء لم تُحدث قطيعة مع النظريات السابقة، بل اعتبرتها مكملة لنظريتها، فقد استفاد غريماش من الفينومينولوجيين والظاهرانيين الذين ربطوا بين الذات وعالم الأشياء، وإدراك العالم ضمن علاقة تفاعلية بينهم، وتأكيدها على ضرورة عودة المعارف الإنسانية (التحليل النفسي) وإدخاله في المقاربة السيميائية، حيث أنّ أرسطو طرح قضية علاقة الأثر الأدبي والتحليل النفسي وكان سباقا لدراسة هذه العلاقة من خلال نظريته (التطهير)، وكان لهذا التحول الابستيمولوجي بالغ الأثر في إعادة الاعتبار للمكون الهوي والبعد الانفعالي داخل الخطابات، فعملية قراءة الظواهر الثقافية ترفض استقلاليتها عن القوى النفسية التي أنتجتها، فعلم النفس هو خلفية الأدب، مما يجعل الأدب انعكاسا لسياقاته، ويقتصر علم النفس على ربط الخصوصيات الثقافية بعواملها الإنسانية والنفسية.

3. الأبعاد الاستهوائية في رواية سفر السالكين لمحمد مفلح :

حسب الناقد سعيد بنكراد فإنّ "معاني الأهواء تُستخلص في الملفوظ السردية كعلامة دالة، ومؤشر على وجود جانب شعوري نفسي مكون للذات، وتكون هذه العلامة أداتنا للكشف الناطق في النفس البشرية، والتي لا ترى بالعين المجردة... فالإحسان لا يمكن أن يكون مرثيا، إلا من خلال تجزئته وتحويله إلى وحدات، وهي ما يطلق عليه في اللغة العادية (الهوى، الشعور، الميل، الحب، الكراهية)" (بنكراد، 2007، ص:10)، وانطلاقا من هذه الوحدات التوترية ينكشف الخطاب الاستهوائي أمام الباحث، ولا بد على مستوى التطبيقي "من الالتجاء إلى الوصف المعجمي والدلالي لدراسة الأهواء والمثيرات الانفعالية، وتحديد التوترات الاستهوائية، والتركيز على الذات المستهواة، والفاعل الاستهوائي، كما تركز المنهجية على استكشاف الجسد باعتباره موضوعا إجرائيا، يتم به إدراك الشعور للعالم الموضوعي". (حمداوي، دت، ص: 44-45).

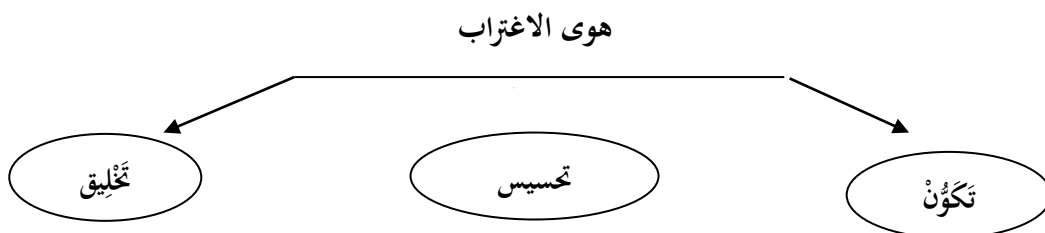
ورواية سفر السالكين تكشف عن الكثير من الجوانب الدرامية في حياة الشخصية، فكانت بمثابة رحلة روحانية بطلها الهاشمي الذي ارتطم أمام أحداث واقعية، شكلت نقطة تحول في مسار حياته، فكان الإنسان المتمرد الذي دخل في غمار التصوف، وذلك بعد تأثره بأحد أصدقائه، فكان سفره روحيا خالصا بعيدا عن الواقع، وقد أسفرت الدلالة المعجمية واللغوية لرواية سفر السالكين إلى كونها رواية تنتمي إلى أدب الرحلة الصوفية، فالشاهد السردية الذي بين أيدينا، عرّج على موضوع الرحلة والسفر والاعتراب التي يسلكها المتصوف في حياته، فالرحلة في المفهوم الصوفي تمثل "رؤية كونية تفسر الوجود وأبعاده، وتكشف عن المبدأ والمنتهى وفق تصور عرفاني خاص"، وفي الأدب الصوفي "هي حالة فنية تنطلق من هذه الرؤية لتقدمها بأسلوب معين يعتمد بناءً خاصا ومرتكزات محددة". (سليطين، 2018، ص:64-65)، فالصوفي لا يفارق شعور الانفصال عن روحه من عالمه الدنيوي والتعريح بها، وفي هذا الجزء سيتم التركيز على أبعاد شخصية الهاشمي، التي سيكون لها حضورا دلاليا أكثر من غيره، ولكونها أكثر فاعلية في الرواية دون غيره، والكشف عن أهم التجليات الهوية في شخصيته، والذي لا يختلف فيه الجميع، هو أن التصوف أصبح اليوم يمثل أحد أهم المصادر العرفانية الدينية والتراثية، التي تغني التجربة الإنسانية في الرواية الجزائرية المعاصرة، برؤى مختلفة وبرموز كثيرة، وقد استغلها الأدباء الجزائريون بخاصة في إثراء تجاربهم الإبداعية، خاصة أن التجربة الصوفية متعددة الدلالة قابلة للتأويل والتوظيف الفني.

و لأن التصوف وسيلة للبحث عن الحقيقة المطلقة في عالم الغيب، فإن أهمية الخطاب الصوفي تبدو جلية في الأدب، نظرا لكون التجربة الأدبية والروائية خاصة، لا تختلف عن التجربة الصوفية في محاولة لمس بواطن الذات الإنسانية، والتعبير عن مكنوناتها وخلجاتها بواسطة خطابها وهذا ما يتوافق مع آليات الإجرائية لسيميائية الأهواء، وضمن هذا السياق شُحنت رواية محمد مفلح بكم من الأهواء المتناقضة والمضطربة، والتي تعرف على مستوى القراءة السيميائية بمبدأ التوتر، حيث تشتت ذاته الشاعرة بين سلسلة من الحالات النفسية وتراوحت بين هوى الحياة والأمل، وهوى الانتقام والموت، وسنرى من خلال التواترات الانفعالية، أن الذات الإستهوائية إفتقدت إلى خاصية التوازن العاطفي، فقد كانت روايته فضاء لصراع الذوات الهوائية، وفضاء تجلت فيه الرغبات النفسية المتناقضة.

1.3 هوى الاغتراب :

الغريب في مفهوم الصوفيين للاغتراب الإنسان هو" من ابتعد عن الوجود الحسي الأرضي، فهو الفرار من دار الدنيا إلى دار الآخرة، والصوفيون يحبون الوحدة والاعتزال عن الناس، بل إنهم يشعرون بالغرابة عن ذواتهم لأنهم يرون أنها مغمورة بالذنوب والخطايا، وشعور الصوفيين بالغرابة يبعث فيهم قوة الإبداع لتطهير أنفسهم، فهي متنفسهم، والأديب بل الفنان عموما يصون نفسه من الانفجار بالإبداع". (الحاج لقواس، 2018، ص118)، وبالعودة إلى الرواية يظهر لنا الاغتراب من خلال مجموعة من التيمات الاستهوائية، والتي تدل عليها الوحدات المعجمية، حيث يقول محمد مفلح في حديثه عن شخصية الهاشمي: "كنت أفضل السير الحثيث في الشوارع والأزقة الضيقة حتى لا ألتقي، أصدقاء وزملاء سابقين لا أحبهم، أصبحت بعد إحالي على التقاعد المسبق شخصا متوحدا مهموما شعرت بالغرابة القاتلة في مدينتي التي لم تعد جذابة كما كانت في الزمن البهي.. ما أقسى العزلة التي اشتدت حدتها علي، منذ اللحظة التي أحلت فيها نفسي، على التقاعد المسبق، عزلة غريبة تقات من صبري.. صار يشعر بالغرابة في مدينته التي لم تعد جذابة كما كانت في الزمن البهي.. كل شيء تغير". (مفلح، دت، ص07).

وقد أعطت سيمياء الأهواء دورا كبيرا للمكون المعجمي وللشواهد اللفظية، فمسألة القاموس هي البداية الأولى نحو جمع المعلومات، ونحو معرفة الطريقة الخاصة التي تشتغل من خلالها الأهواء في الرواية، والتمظهر المعجمي للمفردات (لا ألتقي، لا أحبهم، شخصا متوحدا، شعرت بالغرابة القاتلة، العزلة..) على مستوى المقطع السردي، يبين لنا مختلف التواترات الاستهوائية المندرجة تحت هوى الاغتراب، ومدى الغربة النفسية التي يعيشها الهاشمي والرتابة اليومية التي نخرت حياته، وقد شكل التقاعد بؤرة الأزمة الاستهوائية لدى الهاشمي، حيث تأزمت نفسه ودخل في حالة من الاغتراب النفسي لانعدام رابطة التواصل مع مجتمعه، وهربا من نظرة الناس، فقد انتقلت الذات في الرواية بعد التقاعد من ذات طموحة ومسالمة إلى ذات خائفة ومحرومة، والمخطط الآتي يلخص تَكُون هوى الاغتراب لدى الهاشمي المشلح:



الشعور بالغربة

إحساس الهاشمي أن

بداية الاغتراب نتيجة

كل شئى تغير

التقاعد المبكر والعزلة

ويضيف قائلاً في نفس السياق: " لازلت أحن إلى غابة "الرنين، وإلى أيام الفخاخ الصغيرة التي كنت أنصبها تحت أشجارها الباسقة، لاصطياد طيور الزرزور والسُنُونُو، كم سعدت لما اصطدت لأول مرة زرزورا صغيرا، وقتذاك غضبت مني والدي، وحذرتني من الصعلوك عنتر الشاقور، الذي ذاع صيته بسبب اعتداءاته على القصر ودخوله السجن ثلاث مرات .. تخلّيت عن الوظيفة التي اعتقدت أنها كانت عالمي الوحيد، وهي في الحقيقة كانت سجنا خطيرا". (مفلاح، دت، ص: 11، 12)، هذه الشخصية النائية عكست مع يجري في واقع الهاشمي، والشعور بالعجز عن مواجهة أعباء الحياة، وتتضح لنا تيمة الأُم والاعتراب النفسي من خلال هذا المقطع نصي، وقد سيطر هذا الهوى على معظم الرواية وبوجوده، فإننا نفى هوى الأمان بالضرورة الذي افتقده الشاعر في حياته منذ صغره، ونؤكد هوى الخوف والفرع الذي تعيشه الذات الاستهوائية في علاقتها بالموضوع القيمي، وهي عبارة عن نتيجة انفعالية تربط بين الذات والموضوع، ويتجلى الأُم بوصفه فاعلا في إنتاج المعنى، حيث يكون الأُم والحزن والاعتراب أثرا من آثار تواتر حالة توترية إستهوائية، دفعت ذات الشاعر إلى صبغ قصائده بصبغة حزينة تشاؤمية متمردة على الواقع، ويمكن القول أن الذات الاستهوائية هنا تعاني من غربة نفسية، حيث أعطت صورة قائمة عن واقعها، وتوالت التواترات الانفعالية من البداية إلى النهاية في شكل ملفوظات دالة، وجاءت لغتها الشعرية ناطقة عن هذا الواقع الذي حبسه في غياهب الأُم والحسرة.

2.3 هوى الحب الانتقام في رواية سفر السالكين:

تجسد في رواية سفر السالكين مشهدين سرديين منفصلين، تمثلا في هوى الانتقام والكراهية إلى جانب هوى الحب، والناجين عن انفعال قوي بتصاعد الجانب التوتري للذات الاستهوائية، والذي نتج أيضا عن وجود محفز نفسي، وهو الأُم والذي يعيشه الشاعر أدى إلى تفعيل غريزة الانتقام لديه، في هذه المرحلة ينبثق أثر الهوى في الخطاب، ففي مرحلة التحسيس تتحول الخلجات والتوترات إلى هوى يقول محمد مفلاح: "أصبحت بعد إحالتي على التقاعد المسبق شخصا متوحدا مهموما، ولي رغبة دفينية في الانتقام، من كل شخص أعتقد أنه أساء إلي في أوقات الشدة... عزلة غريبة تقنات من صبري، وتدفعني للتفكير في أمور غريبة، خشيت أن أقترفها في وضوح النهار وأمام الملأ، حتى المشي وحدي في الشوارع والأزقة ظل يحرق أعصابي". (مفلاح، دت، ص: 07)، من خلال هذا المثال تخرج إرادة الفعل عن عدم القيام بالفعل لأسباب نفسية، ويدخل في مرحلة الانفصال عن موضوع الرغبة، فغياب الأهلية في شخصية الهاشمي قد عرقل هذه المهمة، يمكن أن يكون بسبب الخوف أو التشكيك في قدرتها، أو تحكم عوامل خارجية في ذلك، وفي حالة وجود أزمة استهوائية عاطفية تتنامى لدى الذات هوى الانتقام، غير أنها تُحل في النهاية من خلال انتصار الذات على نفسها، وهذا ما لاحظناه مع الهاشمي، ففي حالة استعداده للفعل انفصل عن رغبته بسبب الخشية والخوف، والتي سماها الباحث غريماس ب(القدرة على عدم الكينونة)، وفي هذا السياق وضع غريماس مخطط نظامي سردي، حول كيفية انتظام الهوى، وانتقاله من البنية السطحية إلى البنية العميقة، وذلك وفق مراحل ودرجات كانت البداية ب :

1- اليقظة العاطفية (Eveil affectif): وهي مرحلة الانطشاف الشعوري حيث تعبر الشخصية عن عواطفها الكامنة، وتُترجمه من خلال هوى معين، وفي رواية سفر السالكين، نجد أنّ الهاشمي يراوده شعور بالوحدة والقلق إزاء وضعه الجديد يقول: "أصبحت بعد إحالتي على التقاعد المسبق شخصا متوحدا مهموما".

2- الاستعداد (Disposition): في هذه المرحلة تتوفر شخصية الهاشمي على مؤهلات نفسية وجسدية، تساعد في ترجمة هوى الانتقام، من خلال التفكير الدائم، بالإضافة إلى كونه يعيش وحيدا دون رقيب، مما يساعده في التخفي عن أعين الناس واقتراف الفعل.

3- المحور العاطفي (Le pivot passionnel): معرفة الشخصية بالأسباب التي أدت بها إلى هذه الحالة، وعلى مستوى المشهد نرى أن التقاعد المبكر، ودخول الهاشمي في مرحلة عزلة لم يجد من ينتشله من براثنها، دفعت بالهاشمي إلى الرغبة في الانتقام.

4- العاطفة (L'émotion): في هذه المرحلة تترجم الشخصية عاطفتها وشعورها، انطلاقا من ردات فعلها الجسدية والحالات المزاجية، والتي تكون قابلة للملاحظة، وفي المشهد الروائي نرى أن الهاشمي تُرجمت عاطفته وأصبحت حدثا استهوائيا، من خلال تفكيره الدائم والمشى وحيدا في الشوارع.

5- التقويم الأخلاقي (Moralisation): في هذه المرحلة تتعرض الشخصية للحكم والتقييم الأخلاقي، فالانتقام في المشهد يجسد لنا بعدا سيكولوجيا واجتماعيا حول حالة المتقف بعد التقاعد، وتصريح الهاشمي بخشيته من الانتقام في قوله: "خشيت أن أقترفها في وضوح النهار وأمام الملأ"، هو اعتراف ضمني بوجود سلطة اجتماعية رقابية يعيش ضمنها، وأن فعله يمكن أن يتعارض مع المنظومة الأخلاقية، والمخطط السالف ذكره: اليقظة العاطفية ← التأهب ← المحور العاطفي ← العاطفة ← التقويم الأخلاقي، يمكن الحكم عليه على أنه تطبيق استهوائي سيميائي، جعل العاطفة تنتقل من كونها شعور، إلى مرحلة اندماجها مع النسق الأخلاقي والثقافي القيمي.

الفعل الاستهوائي لهوى الانتقام	
- حالة النفس	- حالة الجسد

والعزلة يعيشها الهاشمي، اضطرابات غريزة الانتقام،	- يظهر من خلال الانكشاف الشعوري للهاشمي وشعوره برغبة في المواجهة وتجاهل الكلام	- وضع الهاتف على الأذن اليمنى وتجاهل الكلام	النفسية التي كان كانت سبب في ظهور غريزية، وكانت أهمها والتي كانت بسبب
---	--	--	--

عقدة الحرمان التي انتابته والاضطرابات النفسية، مما أدى به إلى فقدان الثقة في الناس، والملاحظ أن شخصية الهاشمي لم تتصل بموضوع الرغبة (الانتقام)، وحدث انفصال عنه، حيث تغلب على نوازعه الذاتية بعد الالتقاء بالشيخ الحاج العربي الشيلي، ودخوله عالم التصوف، ويقول أيضا: "أضع هاتفي المحمول على أذني اليمنى، متظاهرا بمواصلة مكالمة هاتفية، حتى لا أستمع إلى أفكارهم العميقة.... وأجد شيئا من الجرأة على المواجهة بطريقة شرسة". (مفلاح، دت، ص: 08)، يمكن القول أنّ الجسد له لغة خاصة تترجم ما ينتاب الذات من تقلبات نفسية، وقد يكون وسيطا لدخول مضمرات المعنى، وفهم الذات الاستهوائية وحالتها النفسية، ويوضح حركية مجموعة الأهواء التي تسيطر على الذات، ومن خلال المقطع السالف ذكره، شخصت حركية الجسد ورذات فعل الهاشمي في شكل ملفوظات سردية، وكان هناك ربط بين (حالة الأشياء وحالة النفس)، ويمكن توضيح الخطاظة الاستهوائية انطلاقا من هوى الانتقام .

ومن جهة أخرى نرى أن التشاكلات الاستهوائية في المقطع السردية، دالة على ذلك التحول الحاصل في الذات، وذلك من خلال قوله: "الجرأة على مواجهة شرسة"، حيث تؤخذ اللفظة كعلامة ومؤشر، للكشف عن الجانب الشعوري الهوي للذات الشاعرة، وتكون هذه العلامة أداة في الكشف الناطق في النفس البشرية، والتي لا ترى بالعين المجردة، فمن خلال هذا الملفوظ الكامن في المقطع يطفو الألم على سطح المقطع، ويُطل برأسه بين ثنايا الخطاب، ونرى تحول الذات إلى قمة الانفعال المفضي إلى دخوله عالم التصوف، وهذه الأهواء الصوفية تعكس سيكولوجيا الهوى الداخلي التي جعلت الروائي يعيش ألما ما بعده ألم، ويتجرع مرارة الغربة والتهميش.

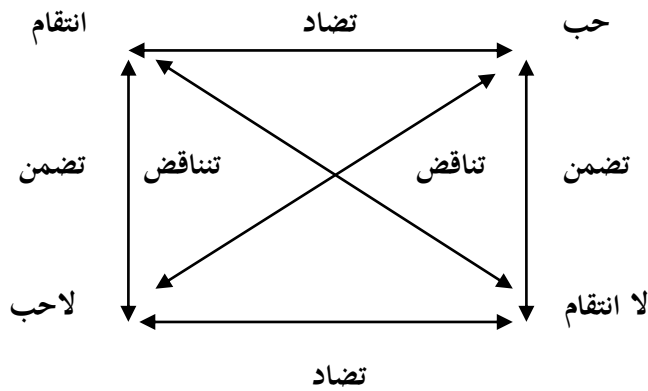
وشخصية الهاشمي المشلح شخصية تحمل كثيرا من التناقضات، وهذا راجع لما تعرض له في طفولته، وكثرة شقائه النفسي، والذي بدأ منذ حرمانه من والده، وكانت لدلالة اسمه مؤشر على ما يستوطن هذه الشخصية من غموض حيث حمل دلالتين: حيث ينسب إلى الإسلام (بني هاشم) وأيضا يحمل معنى الهشم وهو الكسر، فحياته كانت مليئة بالمغامرات والصعاب، ما جعله ينكسر في كل لحظة، وقد توصل غريماس في دراسته السيميائية للمعجم الاستهوائي، إلى وضع برنامج وخطاظة تمثل تطور الهوى عند الذات، وتمثلت في :

الحرمان ← السخط ← العدوانية

حيث أنّ الحرمان والتهميش الذي عاشه الهاشمي، وُلد لديه نوعاً من **السخط** على واقعه، وعلى الناس وأهله وأصدقائه، ما جعله شخصية عدوانية ترغب في الانتقام، كفعل غريزي يعوض به حرمانه كما قال فرويد .

ومن أهم المبادئ التي تركز عليها سيميائية الأهواء نذكر **مبدأ التكوين**، ويعني هذا المبدأ المتركز الأساسي الذي تبرز فيه الذات الاستهوائية، إذ يتشكل هذا العامل بوصفه ذاتاً استهوائية عندما يُدرج داخل حالة، لمعرفة هوى معين". (فرغلي، 2022، ص: 88) حيث يعكس المكون المعجمي للمقطع السردي، جملة من العلامات السردية، ومشهد يوحي بوجود علامة رمزية نسقية دالة على الهوى الباطن في الذات، حيث يعد **هوى الحب** أحد الأهواء التكوينية للأهواء العشقية الصوفية، فالصوفي يُضنيه الشوق والحنين إلى الحضرة الإلهية انطلاقاً من الصورة العاطفية، التي رسمتها الذات الاستهوائية عندما يقول: "غادرت الخلوة وأنا بغاية السعادة، ملت نفسي على غفلي السابقة.. أما صافي المايدي لا يعلم شيئاً عن الحياة السعيدة التي صرت أعيشها منذ دخولي هذا العالم السحري". (مفلح، دت، ص: 95، 96).

فصورة (**الخلوة**) تجسد رؤية الكاتب لدخول البطل الهاشمي في عالم الحضرة الإلهية، وتساعد نشوة الحب والعاطفة لديه، وهنا مؤشر سيميائي يدل على تشابه حالة الهاشمي مع حالة المتصوف والمريد، فوجود الخلوة يعكس الحالة النفسية والعاطفية، التي يعيشها الهاشمي تحت تأثير الهوى العشقي، وهذا الانتقال والتحول من مقام لمقام، ومن حالة الكراهية إلى حالة الحب، لم يكن عبثاً في الرواية، إنما تتحكم فيه الحالة النفسية التي تكون شبيهة لحالة المتصوف، وفق نسق سردي يدل على الترابط القائم بين حالة الهاشمي وحالة المريد، وتُنظم هذه الأهواء الصوفية من خلال **المربع السيميائي**:



والمربع السيميائي يبين أن البنية الانفعالية للذات، انحصرت في ثنائيتين متضادتين وهي: (هوى الانتقام والكراهية، وهوى الحب).

علاقة تضاد: حب-انتقام / لا انتقام-لا حب

علاقة تناقض: حب-لا حب / انتقام-لا انتقام

علاقة تضمن: حب - لا انتقام / انتقام-لا حب

3.3 الهوى الصوفي:

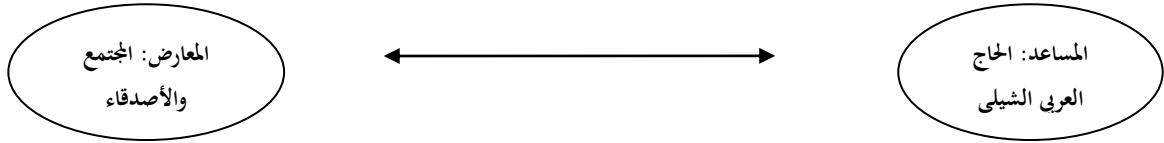
اهتمت سيمياء الأهواء بالبحث في الهوى الإنساني، الذي يتجاوز فيه الفعل حدود المقبول، للبحث في الآثار المعنوية لتجلي هذه الأهواء في الخطابات، وقد وقع اختيار على نص صوفي عرفاني يمكننا من خلاله تطبيق آليات سيمياء الأهواء، ورصد آثار الهوى الصوفي وتحوله، خاصة وأن الهوى في المعجم الصوفي هو أول مقامات المحبة، "كما يتوسل النص الصوفي على مستوى أنساقه اللسانية بنصوص قبلية مدارها الهوى، الذي تجلّى في عدة أنماط كالحب، الخمرة، الرحلة، الطلل، ولكن عبر سلسلة من التحويرات تنقله من الحدود المعقولة إلى فضاء التجاوز، فالنص الصوفي نص في هوى الحق، يُبني على نصوص في هوى الخلق". (شيتير، 2013، ص: 84).

فالصوفي لا يفارق شعور الانفصال عن روحه، من عالمه الدنيوي والتعريج بها، وفي هذا الجزء سيتم التركيز على أبعاد شخصية الهاشمي، التي سيكون لها حضورا دلاليا أكثر من غيره، ولكونها أكثر فاعلية في الرواية دون غيره، والكشف عن أهم التجليات الهوائية في شخصيته، يقول الهاشمي: "الحمد لله على نعمة الذكر والانتساب إلى الطريقة، بعد ساعة واحدة، سأشارك في جلسة سماع حتى الفناء في الحضرة الإلهية.. أنت لا تعرف شيئا عن لحظة واحدة من الحضرة الصوفية، التي تسافر بالإنسان من واقع الأحوال إلى عالم الملكوت.. وصاح الحاج مجذوب الله الله الله لا إله إلا الله، وارتجت أوصالي، وظل إخواني الفقراء يرددون وهم في حالة سكر، الله دايم حي، الله دايم حي، الله حي، الله حي، الله دايم حي، باقي حي". (مفلاح، دت، ص: 62، 63، 67)، ويضيف قائلاً: "وانتقلت إلى الخلوة بالعبادة، دخلتها مستعينا بضوء هاتفي المحمول، وجدت نفسي وحيدا في الخلوة الهادئة، جلست على تربتها الرطبة، ثم قرأت بعض السور القصار من القرآن الكريم، قضيت وقتا طويلا متأملا حياتي الجديدة.. إلى ملكوت الصفاء". (مفلاح، دت، ص: 95).

والهوى الصوفي في المقطع السردي لديه عدة مظهرات معجمية مثل: (الانتساب إلى الطريقة، الحضرة الإلهية، الحضرة الصوفية، واقع الأحوال، عالم الملكوت، الله، سكر..)، والمتصوف عندما يكون في الحضرة الصوفية، تتنامى لديه مشاعر الحب الإلهي، وهي مفردات تتلاقى وتتقابل سياقيا مع هوى التصوف، وهذا ما تجسد في المقطع السردي، الذي يبين انتقال الهاشمي من عالم الأشياء إلى عالم التصوف والحضرة الإلهية، واتصاله بموضوع القيمة، ودلالة على مدى تجلي الحس العاطفي للكاتب، ولعلّ المتبصر أكثر في الأبعاد الدلالية والصوفية التي يمكن أن يبوح بها الشاعر، تجعله يرفع من درجة التأويل أكثر، فتكون صورة ذاته التائهة في طريق المسارات المعوجة والملتبسة، ومُعبرة أيضا عن الروح في طهارتها، وصفائها ونورانيتها وسموها، وفي تعلقها بالذات الإلهية.

فالذات الاستهوائية المتمثلة في الهاشمي، تخضع لعملية التحفيز والتحرير من قبل جماعة المتصوفة، وبخاصة شيخه العربي الشيلي بغية تأهيلها، والذي يحاول إغرائه، من خلال أخذه إلى أضرحة الأولياء الصالحين، والحديث عن كرماتهم وعن هذا العالم الصوفي الغيبي وهذا ما يؤكده في قوله: " لقد أحس الهاشمي، أن لقاءه مع الشيخ العربي الشيلي، قد أعطى لحياته معنى جديدا، لم يعهده عرفت فيه معنى جديدا مختلفا.. في هذا اليوم تعرفت على نفسي.. لقد تغير الرجل.. جملة يطرب لها الهاشمي، بعد أن تعرف إلى صديقه الجديد". (مفلاح، دت، ص: 27، 28، 32)، فقد كان الشيخ العربي الشيلي، من مردي الطريقة الخضرية الفاتحوية، وهذا المصير الذي آلت إليه الذات الاستهوائية، جعلها في علاقة اتصال مع موضوع القيمة (الهوى الصوفي)، ذلك أن الهاشمي كان حبس غرفته وبيته

محور الصراع



والتركيب السردية من خلال هذه الخطاظة السردية، يُبين اتصال الذات الاستهوائية (الهاشمي المشلح) مع الموضوع المرغوب فيه وهو التصوف وتغيير واقعه وذاته، حيث يقوم الفاعل الإجرائي بمجموعة من الأدوار، وتتمثل في الانخراط مع جماعات المتصوفة، حضور دروس الوعظ والإرشاد، العزلة عن الناس، الخلوة الإلهية، وينتهي بوصوله لرغبته، وإنّ عواطف شخصية الهاشمي هي في الحقيقة صيرورة حالتها العاطفية، والتي تؤثر وتتحكم فيها العوامل الخارجة عن نطاقها وإرادتها، فمشاعر التصوف التي استحوذت على نفسيته، هي نتيجة حتمية لسلطة القدر والواقع المعاش.

4. خاتمة:

وبناء على ما سبق يلاحظ أن سيميائية الأهواء، هي امتداد للسيميائية العامة وليست نفيًا أو إقصاءً لها، فقد استمدت كثيرا من مفاهيمها وآلياتها في الكشف عن المعاني، والدلالات الخفية في النص الأدبي، وخاصة المربع السيميائي والنموذج العاملي، وسيميائية الأهواء جاءت مكتملة لسيميائية العمل، حيث إنّ مشروعها ينهض على أساس سد ثغراتها.

وقد أبانت دراستنا للرواية إلى جملة من النقاط المهمة وهي: أن الرواية الصوفية المعاصرة تحقق حالة من الوجود السيميائي المتجانس، ومحمد مفلح كشف من خلالها محاولة الهاشمي الخروج من بوتقة المجتمع، وعبر عن ذات أرادت التحرر من القيود التي فرضت عليه، فقد سعت الذات الاستهوائية في الرواية، إلى الاستقرار النفسي لتتهدي أخيرا إلى السفر عن طريق التصوف وهو طريق السالكين، وتجسدت الذات في الرواية سفر السالكين، على المستوى السردية في علاقتها بالموضوع أثناء فعل الانجاز متأثرة بالبعد الاستهوائي، وانتقالها في سيميائية الأهواء من ذات عاملة، إلى ذات استهوائية ومن حالة انفصال إلى حالة اتصال.

قائمة المراجع:

- الداوي محمد. (2007). سيميائية الأهواء، عالم الفكر، مجلد33، العدد03.
- الملجمي علوي أحمد صالح.(2016). سيميائية الحزن في ديوان مبتدأ البكاء آخر دراسة في ضوء سيميائية الآخر، مجلة الأثر، العدد24، ص143-152.
- بغداد عبد الرحمن. (2019). السيميائيات من العمل إلى الهوى -قراءة في كتاب سيميائية الأهواء لغريماس وفونتانى، مجلة بحوث سيميائية، مجلد08، العدد14، ص27-42.
- بنكراد سعيد.(2007). السيميائيات النشأة والموضوع، مجلة عالم الفكر السيميائيات، مجلد35، العدد03.
- حمداوي جميل.(دت). الاتجاهات السيميوطيقية، التيارات والمدارس السيميوطيقية في الثقافة الغربية،(دب): شبكة الألوكة.
- حمداوي جميل.(2011). مستجدات النقد الأدبي، ط1، (دب):شبكة الألوكة الالكترونية.

- شاوي راوية. (2022). سيميائية الأهواء المفهوم والآليات الإجرائية، مجلة حوليات جامعة قلمة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد16، العدد01، ص519-539.
- سليطين وفيق. (2018). الرحلة في الشعر الصوفي، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، العدد26، ص64-157
- شيتر رحيمة. (2013). النص الصوفي من منظور سيميائية الأهواء، مجلة كلية الآداب واللغات، العدد13، ص81-90
- عمي ليندة. (2010). سيميائية العواطف من سيميائية الأدبية لدوني بيتران، مجلة الخطاب، المجلد05، ع06، ص309-316
- فرغلي حامد سعيد. (2022). سيميائية الأهواء في قصة الأجنحة المنكسرة لجبران خليل جبران، المجلة العلمية لكلية الآداب، العدد82، ص69-138.
- مفلح محمد. (دت). رواية سفر السالكين، ط1، الجزائر: دار الكوثر للنشر والتوزيع.